# منهج القرآن الكريم في الرد على الطاعنين في رسالة النبي الأمين في ضوء سورة الفرقان

## ((دراسة في البناء والدلالة))


إعداد :

**د.هدى بنت دليجان الدليجان**

أستاذة مشاركة في التفسير وعلوم القرآن

قسم الدراسات الإسلامية-كلية الآداب

جامعة الملك فيصل بالأحساء

# منهج القرآن الكريم في الرد على الطاعنين في رسالة النبي الأمين في ضوء سورة الفرقان ((دراسة في البناء والدلالة))

## المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لَهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ،وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدِّين . أما بعد :

فقد أنزل الله القرآن الكريم لغاية عظيمة هي البيان والتعليم، قال تعالى {الرحمن *علم القرآن*خلق الإنسان* علمه البيان}[الرحمن:١-٤]، وجعل الله القرآن الكريم فرقانا بين الحق والباطل، وجعل من الدلائل والبينات على صدقه، ما تحدى به الأولين والآخرين، قال تعالى {أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين* فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون}[هود:١٣-١٤]،

فهذه الآية دلالة على صورة عجيبة من دلائل النبوة العظيمة في الاستسلام للعلم الإلهي والقوة الإلهية والإعجاز العظيم في رسالة النبي الأمين، فالواجب على جميع الخلق من الإنس والجن الإيمان بهذا الكتاب، والعمل بما جاء به رسول الله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، والعناية بتعلم منهج القرآن الكريم في قوة تحديه لمن أراد طعنا في الرسالة الخاتمة وأسلوب بيانه وبناء سوره وآياته ودلالاته على صدق هذه الرسالة الربانية وحكمة هذه الشريعة الربانية، لتحقيق هدايته في الآفاق، ونشر نوره في العالمين.

وتحقيقا لهذه الغاية العظيمة ذكر القرآن الكريم المطاعن التي أثيرت على الرسالة المحمدية في كتاب الله المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في سور كثيرة منها سورة الأنعام ويونس وهود وغيرهم من سور القرآن الكريم في بناء عظيم ودلالات بليغة في صدق هذه الرسالة الخاتمة، وجمع هذه المطاعن الآثمة على الرسول الأمين والقرآن العظيم بالتفصيل في سورة الفرقان الكريمة لتكون تذكرة وموعظة للمؤمنين، وردا على أولئك المخالفين الذين كفروا بإنزال القرآن الكريم وأثاروا الشبهات على صدق الرسول الأمين، وتعليم المؤمنين الأسلوب المناسب للرد على هذه المطاعن التي سجلها القرآن الكريم لتبقى خالدة تتلى لمواجهة هذه المطاعن في كل زمان ومكان.

وكان من الواجب على العلماء والمهتمين بعلم التفسير مناقشة هذه المطاعن ودراسة الأسلوب العلمي للرد عليها، وبيان كيفية الإفادة من المنهج القرآني في الرد على المخالفين للرسالة المحمدية.

من أجل هذا استخرت الله تعالى في اختيار سورة الفرقان لجمع مفردات المنهج القرآني الكريم في الرد على مطاعن الكافرين على الرسالة المحمدية، وكيفية الرد عليها في السورة نفسها، تدبرا لهذه السورة الكريمة، وجمعا لفوائدها في هذا المجال المهم، وأسميته (( منهج القرآن الكريم في الرد على الطاعنين على رسالة النبي الأمين في ضوء سورة الفرقان)) -دراسة في البناء والدلالة -

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- دراسة منهج القرآن الكريم في إيراد المطاعن التي قيلت على الرسالة المحمدية والرد عليها في سورة الفرقان، للتدبر في بناء ودلالة هذه الآيات العظيمة.
- التأكيد على منهج القرآن الكريم في تحدي الشبهات الواردة على الرسالة المحمدية في آيات كريمة تتلى مع تغير الزمان والمكان وتنوع القائلين بهذه الشبهات الآثمة، لإثبات صدق القرآن الكريم وإعجازه، وإنه تنزيل من حكيم حميد.
- مناقشة أدلة الطاعنين في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرد عليهم، و بيان أنواع الأذى وأشكال المقولات التي قيلت في تكذيبه قديما وحديثا، و دلالات الرد عليهم في آيات من سورة الفرقان.
- بيان إعجاز القرآن الكريم ومنزلته بين الكتب السماوية، ورد مقولة الطاعنين في آياته بأسلوب حكيم .
- تحقيق نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته الخاتمة ضد المطاعن والأذى الذي يتعرض له من الغرب والشرق في العصر الحاضر، والرد على هؤلاء الطاعنين بأسلوب علمي من القرآن الكريم.

## منهج البحث:

تنهج هذه الدراسة الأسلوب الوصفي التحليلي لآيات من سورة الفرقان، لبيان ما تضمنته هذه السورة الكريمة من البناء المعجز في نقل أقوال الطاعنين ودراسة دلالات الخطاب القرآني في الرد على هذه المطاعن، وتضمن منهج البحث ما يلي:

- دراسة مقدمة سورة الفرقان لبيان البناء الموضوعي للسورة الكريمة، والدلالات التي تضمنتها المقدمة للخلوص إلى النتائج الباهرة في رد مقولات الطاعنين على الرسالة المحمدية.
- بيان بناء الآيات الواردة في الطعن في القرآن الكريم والرد عليها من آيات من سورة الفرقان، حيث تأتي-أحيانا- مقولة الكافرين في الطعن في القرآن الكريم

والرد عليها في آية واحدة، فالتزمت بذكر المقولة والرد عليها إذا لم يفصل بينهما فاصل.

- توضيح دلالات الآيات الواردة في الطعن في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من سورة الفرقان، والمنهج القرآني في الرد عليها في السورة نفسها، وذكر الآيات التي تنزلت في هذه المعاني في غير سورة الفرقان من سور القرآن الكريم، لتفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر.
- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من الصحيحين أو أحدهما أو من السنن أو المسانيد.
- عزو الأقوال إلى قائليها من القدامى والمعاصرين، فإذا كانت نقلا ذكرت في الحاشية اسم المؤلف أولا ثم اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة، وإذا كان بتصرف نبهت على ذلك، فإن كانت فكرته من بعض المؤلفين وليس نقلا ذكرت انظر في الحاشية.
- لم التزم في هذا البحث بجمع أقوال المخالفين من الطاعنين في الرسالة المحمدية، لكن حاولت التنبيه على بعض الأقوال الخاطئة، ممن أخطأوا في فهم البيان الحكيم أو طريقة التنزيل العزيز، وبذلت جهدي- بقدر الإمكان- في بيان البناء والدلالات لمنهج القرآن الكريم في عرض المطاعن والرد عليها في مكان متقارب من السورة الكريمة.

## خطة البحث:

وستكون خطة البحث فيما يلي:

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: ويتضمن دراسة عامة لبناء ودلالات افتتاحية سورة الفرقان.

المبحث الأول: مطاعن الكفار الواردة على القرآن الكريم والرد عليها

المطلب الأول: اختلاق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم من عند نفسه:

وذكر الله جل جلاله في هذه الآية الكريمة شبهتين لدى القائلين بهذا القول وهما:

الشبهة الأولى: قولهم: إن هذا القرآن إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم.

الشبهة الثانية: استعانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بآخرين لاختلاق القرآن.

المطلب الثاني: الرد على القائلين باختلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم.

المطلب الثالث: دعواهم إن القرآن الكريم من أساطير الأولين.

المطلب الرابع: الرد على قولهم إن القرآن الكريم من أساطير الأولين.

المبحث الثاني: مطاعن الكفار الواردة على الرسول الأمين والرد عليها.

ويتضمن ما يلي:

المطلب الأول: الطعن في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم.ويتضمن شبهتين:

الشبهة الأولى: الطعن في أكل النبي صلى الله عليه وسلم الطعام، والمشي في الأسواق.

الشبهة الثانية: طلب الخوارق المتعددة للدلالة على صدق رسالته.

المطلب الثاني: الرد على الطاعنين في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: الطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن الكريم منجما.

المطلب الرابع: الرد على الطاعنين في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن الكريم منجما.

المطلب الخامس: الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم عند رؤيته وسماع كلامه.

المطلب السادس: الرد على المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وفي الختام: أتوجه إلى الله الكريم أن يوفقني للتدبر في آيات القرآن الكريم، والعمل بكتابه الحكيم،

والقيام بحق نبينا الأمين { ألا تنصروه فقد نصره الله}.

والله ولي التوفيق..

الباحثة

## التمهيد: دراسة لبناء افتتاحية سورة الفرقان

من خصائص البناء في القرآن الكريم تنوع نزوله حسب الأماكن والحوادث والأشخاص، وهذا النزول له أهمية كبيرة في دلالة الآيات على موضوعها، لذا كان من خصائص البناء والدلالة في سورة الفرقان أنه يتميز بما يلي:

١- نزول السورة:

تعد سورة الفرقان من السور العظيمة، وهي مكية على قول الجمهور[١]، وهذا الاهتمام بمعرفة نزول هذه السورة، يعني تميز هذه السورة بخصائص عظيمة تميزت بها السورة المكية، ودلالة على عظم عناية العلماء بهذا الكتاب العظيم ومعرفة أماكن نزول آياته وسوره[٢] .

٢- بناء السورة الأساسي:

تميزت سورة الفرقان بمعالجتها لموضوع مهم وهو النبوة المحمدية وما يتعلق بإنزال الوحي على نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وكانت كالبناء المشيد في الدلالة على هذا الموضوع المهم، واستعملت أسلوب ذكر أقوال الكافرين على النبي الأمين والقرآن الحكيم والرد عليها مباشرة، وقد جاءت مثل هذه الأقوال في آيات أخرى مثل ما جاء في سورة الأنعام، لكن تميزت سورة الأنعام بتعدد الموضوعات وذكر الأحكام التشريعية التي ناقشتها السورة الكريمة، مما جعل بناء سورة الفرقان يتميز بأنه معجز و بليغ إلى قيام الساعة، فقال تعالى على وجه التحدي ردا على هؤلاء الكافرين{انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا}[الفرقان:٩].

"فإن من أعظم كمال القرآن تركه في أمثلته المضروبة وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة المعلومة، ثم إتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قد علم من أول الكلام أنها هي المقصود"[٣].

---

(١) وهو قول الإمام الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢١٤/١٨)، وانظر: ابن عطية، القاضي أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،(٤١٦/٦)، و القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،(٥/١٣)، والزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن،(١٩٣/١).

(٢) انظر: النيسابوري، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، التنزيل وترتيبه، دراسة وتحقيق: د. نورة بنت عبدالله الورثان،ص١٥، وشيخ أمين، الدكتور بكري، التعبير الفني في القرآن، ص٤٥-٥١.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد،(٦٢/١٤).

وجاء في بناء صدر السورة الرد على مقالات كانت لقريش [٤]،"ومقصود هذه السورة ذكر موضع تعظيم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم وجهالاتهم، فمن جملتها قولهم : إن القرآن افتراء محمد، وإنه ليس من عند الله"[٥]. وفعلا بدأت هذه السورة بمقدمة عظيمة تدل بخفاء ولطف على ما احتوته هذه السورة من المقاصد العظيمة، لتناسب كل من جاء بطعن أو شبهة في حق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فبينت سبيل الحق باتباع نبوة نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم،ووصفت سبيل من اتبع هواه بالضلال المبين، وهذا هو الفرقان بين سبيل الرحمن وسبيل الشيطان، فافتتحت هذه السورة بالثناء والتمجيد لله رب العالمين بقوله تعالى {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}.

٣- براعة الاستهلال:

افتتحت السورة الكريمة بقوله تعالى {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}، فاجتمعت في هذه الآية الطريقة البرهانية وهي من أساليب البيان العظيم، وهي البيان عما اجتمع في السورة من المعاني العظيمة والفوائد الجليلة، فهي ابتدأت بالبرهان على تعظيم الله جل جلاله بالاستهلال بقوله تعالى {تبارك}، ففيه:" افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب، لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة أو مقترنة بحرف غير منفصل"[٦].

فالبركة هو حصول الخير الكثير وثباته، لكن اختلف علماء العربية في معناه في افتتاحية السورة، " فقال الفراء هو في العربية: (وتقدس) واحد، وهما للعظمة، وقال الزجاج: تبارك: تفاعل من البركة، قال: ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير، وقيل: تبارك: تعالى، وقيل: تعالى عطاؤه، أي : زاد وكثر، وقيل: المعنى: دام وثبت إنعامه، قال النحاس : وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق، من برك الشيء إذا ثبت، ومنه برك الجمل والطير على الماء، أي: دام وثبت"[٧].

وهذا من أعظم أنواع الكلام الذي جاء به القرآن الكريم في الاستفتاح بالثناء والتمجيد قبل الطلب والدعاء، من أجل هذا كانت كل السورة في الثناء على الله تعالى، والثناء على صدق الرسالة المحمدية، ثم ختمت السورة بالدعاء في خاتمة جميلة

---

(٤) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،(٤١٦/٦).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٥/١٣) .

(٦) ابن عاشور،محمد الطاهر،التحرير والتنوير،(٣١٥/١٨) .

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(٥/١٣).

وبديعة،قال تعالى {قل ما يعبؤ بكم رب لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما}[ الفرقان:٧٧]، فتتضح أهمية الثناء والدعاء، وهو المطلوب الأسنى عند التضرع بين يدي الله تعالى قبل تقديم الحاجات.

٤- دلالة تسمية السورة بالفرقان:

قال تعالى في مستهل السورة بعد الثناء على نفسه قوله تعالى{الذي نزل الفرقان} قال جماهير المفسرين :هو القرآن، والفرقان من الفعل فرق :" الفاء والراء والقاف (فرق) أصل صحيح، يدل على تمييز، وتزييل بين شيئين، وهذا التزييل والتمييز يكون بقضاء واستنقاذ، وإظهار حجة"[٨]، وقال الراغب :" الفرقان أبلغ من الفرق، لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، أما الفرق:فإنه يستعمل في ذلك، وفي غيره، والفرقان كلام الله تعالى لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال" [٩].

وتسمية القرآن بالفرقان له حكمة عظيمة، " حيث إنه سبحانه فرق به بين الحق والباطل في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين الحلال والحرام، أو لأنه فرق في النزول كما قال { وقرآنا فرقناه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا}[الإسراء:١٠٦]وهذا التأويل أقرب لأنه قال {نزل الفرقان} ولفظة نزل تدل على التفريق، وأما لفظة {أنزل} تدل على الجمع"[١٠].

ودلالة الآية {تبارك الذي نزل الفرقان } إن القرآن منشأ الخيرات، ومنبع العلوم والمعارف، فالعلم بالقرآن الكريم أشرف العلوم والمعارف، " وإيثار اسم الفرقان بالذكر هنا للإيماء إلى أن ما سيذكر من الدلائل على الوحدانية، وإنزال القرآن دلائل قيمة تفرق بين الحق والباطل"[١١].

قال الإمام ابن تيمية-رحمه الله-:"فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذي أنزله ونبيه الذي أرسله كان أعظم فرقانا، ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان، واشتبه عليه الحق بالباطل، كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان، وآيات النبيين بشبهات الكذابين، حتى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق"[١٢].

---

(٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (فرق).

(٩) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن،ص٣٨٠(بتصرف).

(١٠) الرازي،فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين،التفسير الكبير،(٢٤/٤٠).

(١١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(١٨/٣١٧) .

(١٢) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى الكبرى، (١٣/٦) (بتصرف).

فتميزت هذه السورة ببيان سبيل الحق وسبيل الباطل والتفريق بينهما، فذكر الله تعالى في أكثر من موضع {من أضل سبيلا} كناية عن الطاعنين المكذبين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي المقابل ذكر في ختام موضوعات السورة صفة عباد الرحمن الذين اتبعوا سبيل الحق المبين، وهذا هو الفرقان بين سبيل الكافرين وسبيل المؤمنين.

وتعد سورة الفرقان السورة الوحيدة التي تسمت بأحد أسماء القرآن الكريم من مجموع سور القرآن الكريم [١٣]، وخلت من الموضوعات الأخرى والقصص والأحكام، فكأنما جمعت مقاصد القرآن الكريم في معنى الفرقان العظيم، وهذا ينبأ بدلالة عظيمة على بناء هذه السورة المعجز ومقاصدها العظيمة في مدح الفرقان.

٥- توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه:

من أجل اقتران الفرقان بالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصف الله جل جلاله في هذه الآية الكريمة في مقدمة سورة الفرقان نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بعبده تقريبا له وتعظيما لمقامه، وهذه العبودية الخاصة صفة مدح وثناء، ومن المعلوم إن النداء بالعبودية وقع في القرآن الكريم في أشرف المقامات في رحلة الإسراء والمعراج قال تعالى {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى}[الإسراء:١]، وفي غيرها من المقامات المحمودة [١٤].

وفي هذا المقام العظيم ذكر تبارك وتعالى{تبارك الذي نزل الفرقان على عبده}، وذلك تمهيدا للرد على مقالات الكافرين الباطلة منذ بداية بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، فقد حفظ القرآن الكريم مقالات الكافرين في نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ورد عليها بالحجة والبرهان، ليزهق قول كل قائل، ويبطل حجة كل مدع متخرص في شأن نبوة هذا النبي العظيم، وليبين بالشكل اللائق ضرورة ثبات نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم على هذا المقام الذي اصطفاه الله إليه، والنور الذي أنزل معه، فقد جاءت الآيات في سورة يونس في حوار مباشر بين الرسول صلى الله عليه وسلم والطاعنين المكذبين، قال تعالى { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم* قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون}[يونس:١٥-١٦]، وفي

---

(١٣) انظر: الدهيشي، عمر بن عبدالعزيز، أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم،ص٧١-٨١، و قد ناقش الباحث مسألة تحقيق اسم الفرقان ودلالة إطلاقه في آيات من القرآن الكريم .

(١٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم،(٩٢/٦).

التفاتة كريمة بخلجات وخواطر ذلك النبي العظيم ذكر القرآن الكريم ما يدور في نفس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معاتبا له على ما يعرض له من الضيق والحزن النفسي عند مواجهة الطاعنين المخالفين، قال تعالى {فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل}[هود:١٢].

بينما جاء بناء الآيات في سورة الفرقان بدلالة{عبده}تكريما له وتشريفا وثناء على مقام الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، لذا تولى الله جل جلاله التحدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرد على مقالات الطاعنين والمكذبين بل بين الخطاب القرآني عظمة مقام الرسول الأمين والجزاء الجزيل الذي أعده الله له بأكثر مما طلب منه المعاندون الجاحدون في أسلوب رائع متنوع من التهكم بمطالب الطاعنين و التقريع لهم و التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى {انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا}[الفرقان:٩].

٦- عالمية الرسالة المحمدية:

قال تعالى {ليكون للعالمين} وفي هذا الموضع من الافتتاحية المباركة خلود لهذه النبوة التي جاءت بالفرقان المبين ليس للعرب في مكة كما يدعي بعض الطاعنين قديما وحديثا، وإنما للعالمين وهي: تشمل عالم الإنس والجن جميعا، وفي دراسة حديثة لاهتمام المفسرين الكبار بعالمية الرسالة المحمدية، كانت النتيجة التي توصل إليها الباحث: بأنه لم يول كبار مفسري القرآن عناية خاصة بتحليل مسألة عالمية الرسالة المحمدية، بل اقتصر جهدهم حين كانوا يتعرضون للآيات المتصلة بما كان يسمى (عموم الرسالة للمكلفين)، وذلك بورود هذه الكلمة{العالمين}في السور المكية٤٩ مرة، وهذا يبين دلالة هذه العبارة على وحدة الأصل الإنساني، والتأكيد على قيمة جديدة وهي تضامن الموحدين بغض النظر عن الجنس واللون واللغة والأعراف والتقاليد، وهذا هو الدلالة العظمى لعالمية الرسالة المحمدية(١٥).

٧- تأسيس قاعدة علمية في الرد على الطاعنين في الرسالة المحمدية :

تميزت سورة الفرقان مثل بقية سور القرآن الكريم بذكر دلائل العبودية الحقة وصدق الرسالة المحمدية ببيان أدلة العبودية، لذا جاء في بناء سورة الفرقان التأكيد على الحق في النظر إلى الأدلة، قال تعالى { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن

(١٥) انظر: النيفر،(د)أحميده، النبوة والعالم –عالمية الخصوصية في الخطاب القرآني– بحث منشور ضمن بحوث مجلة الدراسات القرآنية: مركز الدراسات الإسلامية بكية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، المجلد الثالث– العدد الأول/٢٠٠١م،ص١٦٢.

تفسيرا}[الفرقان:٣٣]،"فالتفسير يعم التصوير، ويعم التحقيق بالدليل، كما في تفسير الكلام المشروح"[١٦]، وذلك بتأكيد النظر في دليلين:

أ- دلالة الكون : اهتمت سورة الفرقان بتأسيس قاعدة علمية في الرد على الطاعنين والمخالفين للرسالة المحمدية، فجاءت الآية الثانية نعتا للآية الأولى، قال تعالى { الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا} [ الفرقان:٢].

أي:"الذي له سلطان السموات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاؤه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن في سلطانه ولا يعصوه، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم من الحق"[١٧].

فالبناء القرآني في وصف رب العالمين في قوله تعالى{ الذي له ملك السموات والأرض} في مقدمة السورة الكريمة يتضمن دلالة هامة على تكامل هذا الخلق العظيم، وتوجيه النظر إلى الدلالة على صدق إنزال الفرقان من عند رب العالمين ليكون نورا وهدى لجميع العالمين.

فهذه الآية لتأكيد دلالة شهادة الكون كله بالعبودية لله رب العالمين، وإنها تحت تصرفه وأمره، فالواجب أحقية العبودية لله تعالى وتوحيده وطاعة رسوله الذي أرسله إلى العالمين، فالسموات والأرض وجميع من فيهما عليها إنفاذ أمر رب العالمين وقبوله والاستسلام له، والحذر من الطعن في هذا الذكر الحكيم والنبي الأمين.

ب- دلالة العقل: جاءت الآية الثالثة بعد ذكر صفة الإله الحق العظيمة لتنبيه هؤلاء المشركين وإيقاظ عقولهم بتصوير حال آلهتهم الباطلة،قال تعالى { واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا}[الفرقان:٣].

" ثم عقب ذكر هذه الصفات التي هي للإلوهية بالطعن على قريش لاتخاذهم آلهة ليست لها هذه الصفات، فالعقل يعطي بأنهم ليسوا بآلهة بدلالة {وهم يخلقون}، و يحتمل أن يريد: يخلقهم البشر بالنحت، وهذا التأويل أشد إبداء لخساسة الأصنام"[١٨].

---

([١٦]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(١٤/٦٧).

([١٧]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(١٨/٢١٤).

([١٨]) ابن عطية، المحرر الوجيز،(١٢/٤١٧).

فالعقل يشهد بأن هذه الآلهة باطلة بسبب عدم قدرتها على النفع والضر، وعدم قابليتها للموت والحياة، وعدم تمكنها من البعث والنشور، فأي عقل يتوجه لهؤلاء بالعبادة، ففيه تسفيه لعقول الطاعنين المكذبين، وفي هذا المقام توجيه للعقل لأن يقوم بعمله المفطور عليه، وهو النظر في الأدلة و الشواهد المحسوسة الدالة على عبودية الله وتوحيده في هذا الكون الكبير، ومن ثم الإيمان بالرسالة الخاتمة والشريعة الكاملة التي أنزلها الله تعالى على خاتم الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا البناء في المقدمة العظيمة يتضمن دلالة على أنها كالأصول الراسخة، التي ينبغي استصحابها عند قراءة بقية الآيات الكريمة في سورة الفرقان وغيرها من سور القرآن الكريم، وخاصة عندما تحفظ هذه السورة الكريمة في بنائها ودلالاتها الكلام الدائر في نوادي مكة وبين صناديها المكذبين بالرسالة المحمدية في آيات خالدة تتلى إلى قيام الساعة، وذلك للرد على كل من توجه بأي نوع من أنواع الأذى للرسول الكريم ورسالته الخاتمة في كل زمان ومكان.

## المبحث الأول: مطاعن الكفار على القرآن الكريم والرد عليها

أنزل الله تعالى كتابه الكريم خاتما للكتب السابقة ومهيمنا عليها لما فيه من الخبر الصادق والحكم الواضح، فسماه الله فرقانا بين الحق والباطل، لما فيه من الحق المبين، فاستعظم الله عز وجل قول الذين كفروا عن هذا القرآن الكريم الذي يتضمن الطعن في حقائقه وإنزاله من حكيم عليم، ويتضمن كذلك الطعن الشديد في نبوة نبينا الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر قولهم الباطل في القرآن الكريم ليبين شناعته وسخافة عقول من قاله، وقد قدم القرآن الكريم الآيات في الطعن على القرآن الكريم لأنها هي الهدف من الطعن في رسالة نبينا الأمين، قال تعالى { وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا}.

فجاء بناء هذه الآية الكريمة في غاية الجزالة والفصاحة في حكاية شبهتهم وضلالهم في قولهم في القرآن الكريم، فهو الآية والمعجزة العظمى للرسول الأمين، فبينهما ارتباط عظيم، ويمكن بيان دلالات الطعن في القرآن الكريم والرد عليهم من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: قولهم:اختلاق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم من عند نفسه:

وذكر الله جل جلاله في هذه الآية الكريمة شبهتين لدى القائلين بهذا القول وهما:

الشبهة الأولى: قولهم: إن هذا القرآن إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى{وقال الذين كفروا إن هذا إلا أفك افتراه} وصف الله جل جلاله الكفار في هذه الآية، بوصف الكفر بسبب أصل مقالاتهم عن القرآن الكريم ،"{هذا}اسم الإشارة

يعود إلى القرآن حكاية لقولهم حين يسمعون القرآن، والضمير المرفوع في {افتراه} عائد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المعلوم من قوله في الآية الأولى {عبده}، والإفك :الكذب، والافتراء: اختلاق الأخبار، أي ابتكارها وهو الكذب عن عمد"[١٩].

وهذا القول يحمل مطعنا عظيما وهو نفي الوحي الإلهي عن محمد صلى الله عليه وسلم وعدم الإقرار بنبوته، فقولهم {إن هذا إلا إفك افتراه} يتضمن شبهة الماديين الحدسيين الذين لا يؤمنون بعالم الغيب، وخلاصة قولهم في الوحي: "إن الوحي إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج، ذلك أن منازع نفسه العالية وسريرته الطاهرة، وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته، وترك ما سواها من عبادة وثنية وتقاليد وراثية رديئة، يكون لها في جملتها من التأثير ما ينجلي في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشادا إلهيا نازلا عليه من السماء بدون وساطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك يعتقد أنه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنما يرى وبسمع ما يعتقده في اليقظة، ويقول هؤلاء في شبهتهم: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره، عما رأى وسمع، وإنما نقول: إن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شيء من عالم الغيب"[٢٠].

فهذا الطعن في الوحي لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكره الله جل جلاله في كلمات موجزة {إن هذا إلا أفك افتراه} فهذا الإعجاز البلاغي في تصوير شبهتهم وضلالهم في الوحي دلالة على إعجاز القرآن الكريم وقوة بلاغته.

وقد تتبعت أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى {إن هذا إلا أفك افتراه} فلم أجد تفسيرا لكيفية افتراء القرآن الكريم بالتفصيل، وما هو المقصود منه، وهذا يدل على إعجاز القرآن الكريم وخلوده إلى قيام الساعة، ليخبرنا القرآن الكريم بما يقوله الطاعنون في الوحي، وتسميتهم له بالوحي النفسي، ورد التصديق بأنه وحي من عند الله العلي العظيم كما سيأتي -لاحقا-.

الشبهة الثانية: استعانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بآخرين لاختلاق القرآن:

اتبع جل جلاله الشبهة الأولى {إن هذا إلا أفك افتراه} بقوله { وأعانه عليه قوم آخرون}:

وهذه الشبهة تتضمن دلالة على ضعف النبي صلى الله عليه وسلم عن اختلاق هذا القرآن لوحده، فلم يتم افترائه إلا بمساعدة ومعونة من آخرين، "اختلف الناس في

(١٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٢٣/١٨) (بتصرف) .

(٢٠) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي،ص٨٧(بتصرف) .

المعينين لمحمد صلى الله عليه وسلم على زعم قريش، فقال مجاهد: أشاروا إلى قوم من اليهود، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أشاروا إلى عبيد كانوا للعرب من الفرس أحدهم أبو فكيهة مولى الحضرميين، وجبر، ويسار، وعداس، وغيرهم"[٢١].

وقد عد الأستاذ محمد رشيد رضا عشر مقدمات لقول الطاعنين في الوحي الكريم، وإنه عبارة عن الوحي النفسي الذي أثار شبهته كثير من المستشرقين المعاصرين مثل أميل درمنغام ومونتيه وغيرهم[٢٢]، " وشاء الله سبحانه أن يعيد التاريخ نفسه في وقتنا الحاضر فيأتي هؤلاء وغيرهم ليرددوا تلك العبارات الساذجة في كتبهم ومقالاتهم ومحاضراتهم، بل ويزيدوا عليها أقوالا أخرى يكذبها الواقع ويردها العقل المستنير، والحاضر المتمدن، فحاولوا أن يدلسوا على الناس فريتهم، فكان من أقوالهم إن القرآن من صنع محمد وتأليفه وبإعانة آخرين له بتبريرات لا تقبل"[٢٣].

يقول جولد تسيهر في مقدمة كتابه مذاهب التفسير الإسلامي:"فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في نص القرآن"[٢٤].

وهؤلاء المستشرقون يرون أن الأعوان الذين ساعدوا الرسول صلى الله عليه وسلم هم صحابته الذين كتبوا القرآن الكريم وحفظوه بطريقة بدائية جدا، و استدلوا على ذلك بما ذكر في بعض الروايات من نسخ التلاوة في بعض آيات من القرآن الكريم، واختلاف المصاحف في عدد السور والآيات ووجوه القراءات والاختلاف في الرسم، وقد استدلوا على ذلك بروايات ضعيفة أو مردودة دون التمييز بين الصحيح والضعيف والمقبول من الروايات والمردود منها، والله أعلم[٢٥].

---

(٢١) ابن عطية، المحرر الوجيز،(٤١٨/٦) .

(٢٢) انظر: رضا، الوحي المحمدي، ص ٩٥ وما بعدها .

(٢٣) رضوان،(د)عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (٣٧٢/١).

(٢٤) جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص٤، وقد وافقه على ذلك أصحاب دائرة المعارف الإسلامية، فنسنك، وتيودور نولدكة، وريجي بلا شير، وريتشارد بل وغيرهم، انظر: فضل الله، د. مهدي، موقف المستشرقين من الإسلام والفكر الإسلامي القديم (نظرة موضوعية عامة)،ضمن بحوث المؤتمر الدولي: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية،٤-٦/صفر/١٤٢٧هـ-٤-٦/مارس/٢٠٠٦م، كلية دار العلوم-جامعة المنيا: القاهرة، (٤٩٨/٢).

(٢٥) انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص٤٠٨ وما بعدها ،فقد جمع المؤلف في هذه الدراسة الشاملة الأدلة الواردة لدى هؤلاء المستشرقين وفندها بما يغني عن إعادته

فالقول بأن القرآن إفك افتراه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تضمنت شبهة عظيمة اتفق عليها القدامى والمعاصرون للطعن في هذا القرآن الكريم وتبرئته من أن يكون وحيا من عند الله عز وجل.

المطلب الثاني: الرد على القائلين باختلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم:

من عظمة بناء سورة الفرقان إنها تأتي بالرد حاسما بعد إيراد الشبهة مباشرة بطريقة بيانية بديعة، فقد جاء الرد حاسما على هاتين الشبهتين في تذييل الآية الكريمة { فقد جاءوا ظلما وزورا}، قال الإمام الطبري:" فقد أتى قائلو هذه المقالة، يعني الذين قالوا { إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون} {ظلما}: يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم،والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فكأنه ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته، {وزورا}: والزور أصله: تحسين الباطل"[٢٦].

وقال الإمام الراغب في المفردات:"الزور: الميل، وقيل للكذب زورا لكونه مائلا عن جهته، قال تعالى { ظلما وزورا}،{ واجتنبوا قول الزور}[الحج: ٣٠]،{والذين لا يشهدون الزور} [الفرقان:٧٢]"[٢٧].

وفي الحكمة العظيمة من وصف كلام هؤلاء الكفار عن الوحي بإنه ظلم وزور، وذلك لبلوغ القرآن الكريم غاية الفصاحة والإعجاز الذي تحدى الله به الإنس والجن جميعا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو عشر سور أو سورة واحدة، فلما لم يتمكنوا من الوقوف أمام هذا التحدي كان ذلك دلالة على تماديهم في هذه المطاعن الآثمة على القرآن الكريم بسبب فساد عقولهم وأقوالهم وأعمالهم وبطلانها، فسماه الله تعالى ظلما وزورا لاشتماله على المكابرة والعناد، "فلأنهم نسبوا هذا الفعل القبيح إلى من كان مبرأ عنه، فقد وضعوا الشيء في غير موضعه، وذلك هو الظلم، فالظلم: هو تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليه، والزور كذبهم عليه"[٢٨].

ومن المعلوم في آيات القرآن الكريم وصف الظلم والزور بأشنع الأوصاف، وترتيب أشد العقوبات عليه، سواء كان الظلم و الزور قولا أم فعلا، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال:

---

([٢٦]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(١٨/٢١٥).

([٢٧]) الراغب الاصفهاني،المفردات في غريب القرآن،ص٢٢١(بتصرف).

([٢٨]) الرازي، التفسير الكبير،( ٢٤/٤٤) (بتصرف).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت))[٢٩]. والله أعلم.

## المطلب الثالث: دعواهم أن القرآن الكريم من أساطير الأولين:

قال تعالى {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا}[ الفرقان:٥].

ذكر الإمام الطبري إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث قال: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصي من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم و إسفنديار، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا فذكر بالله وحث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم و إسفنديار،ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثمان آيات من القرآن[٣٠]»[٣١].

{اكتتبها} "افتعال من الكتابة، وصيغة الافتعال تدل على التكلف لحصول الفعل، أي حصوله من فعل الفاعل، فيفيد قوله{ اكتتبها} إنه تكلف أن يكتبها، ومعنى هذا التكلف إن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان أميا كان إسناد الكتابة إليه إسنادا مجازيا، فيؤول المعنى:إنه سأل من يكتبها له، أي ينقلها، والقرينة ما هو مقرر لدى الجميع من أنه أمي لا يكتب، ومن قوله { فهي تملى عليه} لأنه لو كتبها لنفسه لكان يقرأها بنفسه، فالمعنى: استنسخها، هذا كله حكاية لكلام النضر بلفظه أو بمعناه، ومراد النضر بهذا الوصف ترويج بهتانه، لأنه علم أن هذا الزور مكشوف لا يقبل عند الناس لعلمهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمي، فكيف يستمد قرآنه من كتب الأولين، فهيأ لقبول ذلك إنه كتبت له، فاتخذها عنده، فهو يناولها لمن يحسن القراءة فيملي عليه ما يقصه

---

(٢٩) أخرجه البخاري، باب(١٠) ما قيل في شهادة الزور،ح(٢٥١١)، ومسلم،باب(٣٨)بيان أكبر الكبائر وأكبرها،ح(٨٧)، وفي الباب حديث مشهور عن أنس أيضا.

(٣٠) راجعت الآيات المذكور فيها أساطير الأولين في القرآن الكريم، فوجدتها تسعة، ولعل مقصد الراوي عدها بدون آية سورة الفرقان المذكورة في الرواية، وهي الآيات التالية: [الأنعام:٢٥]،[الأنفال:٣١]،[المؤمنون:٨٣]،[النمل:٦٨]،[النحل:٢٤]، [الفرقان،٥]، [الأحقاف:١٧]،[القلم:١٥]،[المطففين:١٣].

(٣١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢١٦/١٨) وقال: نزل فيه كل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن.

القرآن، والبكرة : أول النهار، والأصيل: آخر المساء، وهذا مستعمل عن كثرة الممارسة لتلقي الأساطير"[٣٢].

فقوله تعالى {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها }دعوى شنيعة باطلة من أصلها، وذكرها الله تعالى في آية متشابهة مع هذه الآية في قوله جل جلاله{ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين}[الأنفال:٣١]، وذلك لأن إحدى المعجزات النبوية هي إنه أمي لا يقرأ ولا يكتب صلى الله عليه وسلم، وقد اشتهرت أميته قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وبعد بعثته، قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم{قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته فاتبعوه لعلكم تهتدون}[الأعراف:١٥٨] والأدلة في أمية النبي صلى الله عليه وسلم معروفة[٣٣].

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه بهذه الآية للدلالة على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسول النبي الأمي[٣٤].

وقد جاء بعض المعاصرين ليدلل على سوء فهمه واعتماده على صحة هذه الشبهة بقوله:" قال القرآن{لا تحرك به لسانك لتعجل به* إنا علينا جمعه وقرآنه}[٣٥][القيامة: ١٦-١٧]، و يقول في مقام آخر{سنقرئك فلا تنسى}[الأعلى:٦]، إذن القرآن أتى من قلب الوحي والضمير، إلا أنه لا يذكر صراحة أن محمدا لا يحسن القراءة ولا الكتابة، بل هو يذكر على لسان مشركي قريش إنهم يتهمون محمدا بأخذ العلم عن رجل أعجمي، ويرد عليهم فقط في نقطة لغوية بأن القرآن عربي، وهو يشير أيضا إلى قولهم

---

([٣٢]) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢١/٣٢٥) (بتصرف) .

([٣٣]) انظر: الجابري، (د) محمد عابد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، الجزء الأول -في التعريف بالقرآن- الفصل الثالث، النبي الأمي هل كان يقرأ ويكتب؟ ((الأفكار المتلقاة..عوائق معرفية))، فقد ذكر الأدلة التي أثارت لديه هذه الشبهة، وأخذ يبحث عن تأويلات ومخارج للاستدلال على أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة، ولم يأت بدليل واحد يقوم على تأييد شبهته، وإنما هي مفاهيم عقلية استنبطها من قراءته للنصوص مخالفا بذلك قول جماهير المفسرين ،كما أقر بإن القول بأمية النبي صلى الله عليه وسلم هو قول جماهير المفسرين، ص(٧٧-٩٨)، والمنصور، عبدالله بن حمد، مشكل القرآن الكريم، فقد ذكر المؤلف طرق دفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم، ص٣٣٣-٣٧٥.

([٣٤]) انظر: البخاري، كتاب التفسير،تفسير سورة الأعراف،باب(٣){قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا..الآية}، والعسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،(٨/٣٠٣) .

([٣٥]) كتب المؤلف في هذا الموضع الآية الكريمة خطأ، فذكرت الصحيح.

إنه يأخذ العلم عن أناس، وإنه {أساطير الأولين اكتتبها}، ولا يرد القرآن بأن النبي لا يحسن الكتابة"[٣٦].

من أجل هذا كان " هذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم كل أحد يعلم بطلانه، فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة: إن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني شيئا من الكتابة،لا في أول عمره، ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده، إلى أن بعثه الله نحوا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور، وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بعث إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا ماذا يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون: ساحر، وتارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: كذاب"[٣٧].

فهذا الطعن العظيم في صدق نبوة نبينا الكريم، والقدح في كتاب رب العالمين وكلامه المنزل إلى نبينا صلى الله عليه وسلم بدعوى الإفك المفترى، والأساطير المملاة تحمل دلالة عظيمة على صدق القرآن الكريم، ولا أدل على ذلك من مصداقيته العظيمة في نقل هذه المطاعن وتسجيلها لكثرة ورودها من الطاعنين المخالفين على مرور الأيام، ولضرورة الرد عليها تولى الله العظيم قضية إثبات نزول القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وساق الشواهد على ذلك، فأنزل الله جل جلاله الرد في نفس السورة سريعا متواليا عقب هذه الشبهة.

## المطلب الرابع:الرد على قولهم: إن القرآن من أساطير الأولين

قال تعالى { قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما} [الفرقان:٦].

في سورة الفرقان العظيمة جاء الرد العظيم والتعقيب الواضح الذي يقطع كل شبهة، ويفند كل حجة، ادعاها هؤلاء الكافرون أولهم وآخرهم ومن قال بمثل قولهم قديما وحديثا، فالتفت إلى جذر المشكلة التي ادعاها هؤلاء الكافرون، ولم يناقشهم في دعاويهم الباطلة، بل جاء بالقول الفصل الجازم بقوله تعالى { قل أنزله الذي يعلم السر

---

([٣٦]) جعيط، هشام،في السيرة النبوية-١- الوحي والقرآن والنبوة،ص٤٥، وانظر: الجابري، المدخل لدراسة القرآن الكريم، فصل : النبي الأمي هل كان يقرأ ويكتب؟ ،ص ٨٠ .

ملحوظة: وتعد كتابات هذين الكاتبين وغيرهم من الشواهد على المنهج العقلي الذي يستقل بذاته بعيدا عن نصوص الوحيين الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم .

([٣٧]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(٩٤/٦).

في السموات والأرض}،" أي: قل يا محمد أنزل هذا القرآن الذي يعلم السر، فهو عالم الغيب فلا يحتاج إلى معلم، وذكر السر دون الجهر، لأن من علم السر فهو في الجهر أعلم، ولو كان القرآن مأخوذا من أهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها، وقد جاء بفنون تخرج عنها، فليس مأخوذا منها، وأيضا لو كان مأخوذا من هؤلاء لتمكن المشركون منه أيضا كما تمكن منه محمد صلى الله عليه وسلم، فهلا عارضوه، فبطل اعتراضهم من كل وجه"[٣٨].

وقولهم: إنه أساطير الأولين اكتتبها، هي حجة غريبة لمن يقرأ القرآن الكريم ويؤمن به، من أجل هذا ذكر الله جل جلاله بالكلام الواضح والخبر الصادق أمية النبي صلى الله عليه وسلم وجهله بالقراءة والكتابة، قال تعالى { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون* بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون}[العنكبوت:٤٨-٤٩].

فالآية تبين بوجه لا يقبل الشك إن النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ثم ختم هذه الحقيقة المشاهدة بين أيديهم"{إذا لارتاب المبطلون}أي من أهل الكتاب، وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لايقرأ ولا يكتب، أو لارتاب مشركو مكة فقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده، وسماهم {المبطلون} لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب، فلو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب، في حين ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم"[٣٩].

وقد جاء في المقدمة النفيسة لسورة الفرقان قوله تعالى {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده} في جملة جامعة لتأكيد للرد على أمثال هذه المطاعن السخيفة والدعاوى الباطلة في نسبة القرآن الكريم إلى غير منزله العظيم تبارك جل جلاله، وحتى تبقى هذه المقدمة العظيمة في الذهن فلا يلتفت إلى تلك الدعاوى، اتبع تلك الشبهة الباطلة بالتأكيد {قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض} فمجيء لفظ {نزل} في الآية الأولى، ولفظ{أنزله}في الآية الثانية دلالة على تنزيل القرآن من لدن حكيم حميد.

" فالمعنى : أنه أنزله من يعلم السر فلو كذب عليه لانتقم منه، لقوله تعالى { ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين}[الحاقة:٤٥]، وقال آخرون: المعنى إنه يعلم كل سر خفي في السموات والأرض، ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد

---

(٣٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٧/١٣) .

(٣٩) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص٨٢١(بتصرف)، وانظر: إسحاق، سليم، هل النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا، مقال على الانترنت، فقد جمع فيه الكاتب معنى الأمية في لغة العرب، والفرق بين الأميين والأمي، فلتراجع ففيها الفائدة، والله أعلم .

لرسوله صلى الله عليه وسلم، مع علمكم بإن ما يقوله حق وضرورة، وكذلك باطن أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تتهمونه به، هو سبحانه مجازيكم ومجازيه على ما علم منكم وعلم منه"[٤٠].

" والتعريف في (السر) تعريف الجنس يستغرق كل سر، ومنه أسرار الطاعنين في القرآن عن مكابرة وبهتان، أي يعم أنهم يقولون في القرآن ما لا يعتقدونه ظلما وزورا منهم، وبهذا يعلم موقع جملة {إنه كان غفورا رحيما} ترغيبا لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة، وفي اتباع دين الحق ليغفر الله لهم ويرحمهم، وذلك تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ويتوبوا حق عليهم الغضب والنقمة"[٤١].

{إنه كان غفورا رحيما} تذييل رائع وختام قاطع لمن تناول هذا القرآن الكريم بالدعاوى الكاذبة والتأويلات الباطلة، وصدق طعن الطاعنين وتزوير الظالمين بأن الله غفور رحيم لمن يشاء من عباده.

" يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم، فيتفضل عليهم بعفوه، يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه، يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك، والفاعلون ما فعلتم من الكفر"[٤٢].

وهذا الختام الرائع لهذه الشبهة تحمل دلالة معنوية على قدرة القرآن الكريم على الثبات أمام المطاعن القديمة والحديثة، وتسجيله لهذه الشبهات والرد عليها دلالة على تنزيله من حكيم حميد عليم بالسر وأخفى.

## المبحث الثاني: مطاعن الكفار على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرد عليها

تتالت المطاعن على الرسالة المحمدية من المكذبين المخالفين، فتارة طعنوا في القرآن الكريم بإنه أفك مفترى من محمد صلى الله عليه سلم كما بينت في المبحث الأول، ثم طعنوا في شخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأحقيته بالنبوة والرسالة، فجاءت الآيات التي تحفظ هذه المطاعن متتالية في سورة الفرقان، قال تعالى { وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا}[الفرقان:٧][٤٣].

---

(٤٠) الرازي، التفسير الكبير، (٤٦/٢٤).

(٤١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٣٢٦/١٨) .

(٤٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢١٧/١٨).

(٤٣) جاء في سبب النزول روايات كثيرة ذكرها الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول،ص٣٣٢، وقال المحقق: ضعيف جدا.

فبناء هذه الآية الكريمة في هذا الموضع المناسب هو انتقال رائع من ذكر مطاعن الكفار في القرآن الكريم إلى الطعن في ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقيته بالرسالة العظيمة، وهي متماهية مع المنطق الموضوع من الكفار في الطعن في معجزة القرآن التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم، إلى الطعن في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم وبشريته وصدق نبوته التي هي الأساس في حسد الكافرين وشدة عداوتهم، وإظهار مقالتهم الباطلة، ويمكن تقسيم بناء هذه المطاعن على الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالات الرد عليها في المطالب التالية:

## المطلب الأول: الطعن في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم

جاء في سبب نزول الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال:" إن مشركي قريش قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم، وإحياء آبائهم، والمجيء بالله والملائكة قبيلا، وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل فخذ لنفسك، سل ربك يبعث معك ملكا،يصدقك بما تقول،ويراجعنا عنك، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة، تغنيك عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك، إن كنت رسولا، كما تزعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(ما أنا بفاعل)، فأنزل الله في قولهم، أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها، أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا، أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول، ويرد عنه من خاصمه"[٤٤].

قال الإمام الرازي:" وهذه الشبهة في نهاية الركاكة ذكروا له صفات خمسة فزعموا أنها تخل بالرسالة، إحداها: قولهم {مال هذا الرسول يأكل الطعام} وثانيتها : قولهم{ويمشي في الأسواق}، يعني إنه لما كان كذلك فمن أين له الفضل علينا، وهو مثلنا في هذا الأمور، وثالثتها: قولهم{ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا} يصدقه، أو يشهد له، ويرد على من خالفه، ورابعتها: قولهم{ أو يلقى إليه كنز} أي من السماء فينفقه، فلا يحتاج إلى التردد لطلب المعاش، وخامستها: قولهم{أو تكون له جنة يأكل منها}، والمعنى: إن لم يكن لك كنز فلا أقل من أن تكون كواحد من الدهاقين فيكون لك بستان تأكل منه، وسادستها : قولهم{إن تتبعون إلا رجلا مسحورا}"[٤٥].

ومن وجهة نظري فإن الآية تقسم المطاعن على بشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة نواحي:

---

([٤٤]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢١٩/١٨) .

([٤٥]) الرازي، التفسير الكبير،(٤٦/٢٤) (بتصرف).

الشبهة الأولى: طعنهم في بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث تلبيته لحاجته الفطرية وهو أكل الطعام، والمشي في الأسواق لشراء حاجياته وطلبا للتكسب والتجارة والعمل.

وتكنية هؤلاء الكافرين بالطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بأكل الطعام والمشي في الأسواق فهو إرادة الطعن في بشريته وإنه بشر يحصل منه ما يحصل من البشر، والنبوة مقام تفضيل لا يصلح أن تكون أحواله مثل أحوال البشر بناء على فهمهم الباطل، واعتقادهم الخاطئ عن النبوة والرسالة الذي سيأتي لاحقا، وهذه الشبهة قد ذكرها الله في إثبات بشرية عيسى عليه السلام وبشرية أمه البتول مريم- عليها السلام- ونفي الإلوهية عنه، قال تعالى { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم* أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم* ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون}[المائدة:٧٣-٧٥].

فهذه الآيات الكريمة حكاية عن شبهة وردت إلى النصارى في دينهم وهي إلوهية المسيح عيسى عليه السلام وإنه ابن الله والقول بالتثليث في عقيدة النصارى، وهذا دليل على أن قول مشركي قريش ليس بالجديد على الكافرين من الأمم والأقوام، من أجل هذا رد الله تعالى عليهم في استفتاح سورة الفرقان تمهيدا لتعظيم مقام النبوة، لكن لا يصل إلى درجة الإلوهية العظيمة، قال تعالى {الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا}[الفرقان:٢].

{فجملة يأكل الطعام}" جملة حال، وقولهم {مال هذا الرسول} أجروا عليه وصف الرسالة مجاراة منهم لقوله، وهم لا يؤمنون به، ولكنهم بنوا عليه ليتأتى لهم التعجب، والمراد منه الإحالة والإبطال، وذلك تذرعا منهم إلى إبطال كونه رسولا لزعمهم إن الرسول تكون أحواله غير مماثلة لأحوال الناس، وخصوا أكل الطعام والمشي في الأسواق لأنهما من الأحوال المشاهدة المتكررة"[٤٦].

ثم ذكر الله تعالى عنهم في معرض الرد عليهم أن هذه الشبهة قديمة، وقد أثيرت من قبل على جميع المرسلين فقال تعالى {وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا* } [الفرقان:٢٠] ،قال الإمام ابن كثير: " يقول تعالى مخبرا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين، إنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذي به، {ويمشون في الأسواق} أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم، فإن

---

([٤٦]) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٣٢٧/١٨) (بتصرف) .

الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاؤوا به من الله عز وجل"[٤٧].

ونظائر هذه الآية في إثبات الحاجات البشرية للأنبياء كثيرة في القرآن الكريم ردا على الطاعنين في بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى}[يوسف:١٠٩]، وقال تعالى { وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين}[ الأنبياء:٨].

## الشبهة الثانية: طلب الخوارق وهي متعددة:

وهذه الشبهة تناقض أقوال الكافرين في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن هؤلاء كانوا يعلمون يقينا بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك طلبوا منه خوارق متعددة للتصديق برسالته، وذلك إمعانا في كفرهم وجحودهم لرسالته، ومن هذه الخوارق المطلوبة جاء ذكرها في السورة ما يلي:

١- {لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا} وهذه الشبهة الباطلة ذكرها الله عز وجل في موضع آخر، قال تعالى{ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون}[ الأنعام:٨]، ثم أتبعه جل جلاله قال تعالى { ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون}[ الأنعام:٩]، وقد اتفق مشركو قريش في هذه الشبهة الباطلة مع من سبقهم من الأقوام التي كذبت الرسل، فقد قال فرعون {فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين}[ الزخرف:٥٣].

فالأصل في هذه الشبهة:" يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسان معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف"[٤٨].

٢- {أو يلقى إليه كنز} وهو المال الوفير المتنوع لينفق منه على دعوته، " أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش"[٤٩].

٣- {أو تكون له جنة يأكل منها} اختلف القراء في قراءة {يأكل } فقرأته عامة قراء المدينة و البصرة وبعض الكوفيين{يأكل} بالياء، والمعنى: إن المشركين سألوا

---

(٤٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(١٠٠/٦).

(٤٨) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، تفسير الكشاف، ص٧٤٠ .

(٤٩) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢١٨/١٨).

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه، وقرأ عامة الكوفيين {نأكل منها } بالنون بمعنى : نأكل نحن من الجنة[٥٠].

٤- { وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا}" أخبر تعالى عنهم- وهم الظالمون الذين أشير إليهم- إنهم قالوا: حين يئسوا من محمد صلى الله عليه وسلم {إن تتبعون إلا رجلا مسحورا} يجوز أن يكون من السحر وهي الرئة، فكأنهم ذهبوا إلى تحقيره"، وهذا التحقير منهم باتهامه بالسحر ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع، لأن هذه المطاعن ناشئة من حسدهم وبغضهم وشدة عداوتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم،مع معرفتهم به تمام المعرفة، وثقتهم به وبأمانته وصدقه.

والحكمة من قوله { إن تتبعون إلا رجلا مسحورا} بصيغة المفعول، وهو إنه لكثرة سحره للناس وتفريقه بين الولد والوالد والزوجة والزوج، صار كأنه ينشأ عنه على غير اختياره[٥١].

وهذه الدعاوي الباطلة المتعددة التي ذكرها كفار قريش دلالة على حبهم للدنيا وتعلقهم بها، وإن العطاء في الدنيا هو العطاء الأكمل، وقد شرف الله نبيه صلى الله عليه وسلم من حب الدنيا والتعلق بها، بما له من صفات الكمال وحسن الأخلاق.

وقد ذكر هؤلاء الكفار هذه الشبهات المتعددة، وذكرها الله تعالى في موضع واحد وآية واحدة لانتشارها في مجتمع مكة، فطلبهم الكنوز والجنة بين وديان مكة وجبالها الصماء فيه إظهار خارق للعادة، مما دعا إلى تفنيد هذه الشبهة في آية واحدة في سورة الفرقان الكريمة التي تفرق بين الحق والباطل.

**المطلب الثاني: الرد على القائلين بالطعن في بشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم**

قال تعالى {انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا} [الفرقان:٩].

ذكر الله تعالى في مجمل الرد عليهم مباشرة التسلية والتلطف بنبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوذي في نبوته ورسالته بسبب إنه بشر، وقصور عقول قومه من التصديق به، فالتفت إليه في الخطاب القرآني مباشرة فقال له { انظر كيف ضربوا لك الأمثال}، وقد تساءل الإمام الرازي -رحمه الله- عن هذه الآية كيف تصلح أن تكون جوابا عن تلك الشبهة، ثم أجاب بقوله:" إن الذي يتميز الرسول به عن غيره هو المعجزة، وهذه الأشياء التي ذكروها لا يقدح شيء منها في المعجزة، فلا

(٥٠) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(٢١٨/١٨)، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، .

(٥١) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٢٩٩/٥).

يكون شيء منها قادحا في النبوة، فكأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها لأجل أنهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك لم يجدوا إلى القدح فيه سبيلا ألبتة، إذ الطعن عليه إنما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول"[٥٢].

وهذا الكلام وجيه جدا، و ذلك لأن الله جل جلاله اختص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزات متنوعة كانشقاق القمر ورحلة الإسراء والمعراج والإخبار بقصص السابقين والأنباء المستقبلية، وكل ذلك سجله القرآن الكريم، ومع ذلك كان القرآن الكريم أعظم معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا يأتيه الباطل من بيديه ولا من خلفه، قال تعالى { إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز* لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد* ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم* ولو جعلناه قراءنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد}[فصلت:٤١-٤٤].

ففي هذه الآية رد لكل تفاصيل الطعن في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لذا جاء في الرد عليهم إجمالا في سورة الفرقان التذييل بقوله تعالى {فضلوا فلا يستطيعون سبيلا} أي:إن هؤلاء الذين طعنوا فيك يا محمد وقالوا تلك الدعاوى الباطلة، وتفرقت بهم السبل، فقال بعضهم ساحر، وقالوا شاعر، وقالوا مجنون، وقالوا: كذاب، فهذه سبل متعددة، وكلها ضالة، " وذلك لأن كل من خرج عن الحق فإنه ضال، حيثما توجه، لأن الحق واحد ومنهج متحد، يصدق بعضه بعضا"[٥٣].

ثم جاء الرد الثاني العظيم في قوله تعالى { تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا}[الفرقان:١٠].

وهذه الآية الكريمة عود على بدء بما جاء في المقدمة النفيسة{تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}فأعيد لفظ {تبارك} في هذا الموضع، قال الإمام البقاعي:"ولما ثبت إنه لا وجود لهم،لأنهم لا علم لهم ولا قدرة، وإنهم لا يمن لهم، ولا بركة، لا على أنفسهم، ولا غيرهم، أثبت لنفسه سبحانه ما يستحق من الكمال الذي يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء، فقال {تبارك} أي ثبت ثباتا مقترنا باليمن والبركة"[٥٤].

---

([٥٢]) الرازي، التفسير الكبير، (٤٦/٢٤) .

([٥٣]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(٩٥/٦).

([٥٤]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٢٩٩/٥) .

{جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا} وهذه الآية العظيمة ترد عليهم بقدرة الله ومشيئته النافذة التي لا يعجزها أن تجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم خيرا مما طلبوه من الأموال والكنوز، عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( يقول الله: إني مبتليك ومبتل بك)) [٥٥]، وفي الصحيح إنه عليه الصلاة والسلام(( خير بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا، فاختار أن يكون عبدا رسولا)) [٥٦].

فعن مجاهد قال: قوله تعالى {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك}،أي: خيرا مما قالوا، واستحسنه الإمام الطبري في تفسيره واختاره قال:" لأن المشركين استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها، وأن لا يلقى إليه كنز، واستنكروا أن يمشي في الأسواق، وهو لله رسول، فالذي هو أولى بوعد الله إياه أن يكون وعدا بما هو خير ما كان عند المشركين عظيما، لا مما كان منكرا عندهم"[٥٧].

ثم جاء الرد الثالث الذي يبين سبب طلباتهم في دعواهم الباطلة فقال تعالى {بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا} [الفرقان:١١].

فهذه الآية تبين أن تكذيبهم لرسالتك وطعنهم في نبوتك يا محمد ليس بسبب ما قالوه إنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، بل سببه تكذيبهم بالساعة، وهو الحقيقة الكبرى التي جاءت بها جميع الأديان والرسل، " فلما كانت تلك الأقوال التي قالوها معلومة الفساد، وأخبر تعالى إنها لم تصدر منهم لطلب الحق، ولا لاتباع البرهان، وإنما صدرت منهم تعنتا وظلما وتكذيبا بالحق، قالوا ما في قلوبهم من ذلك، ولهذا قال: {بل كذبوا بالساعة} والمكذب المتعنت، الذي ليس له قصد في اتباع الحق، لا سبيل إلى هدايته، ولا حيلة في مجادلته، وإنما له حيلة واحدة، وهي نزول العذاب به، فلهذا قال{وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا} أي نارا عظيمة، قد اشتد سعيرها، وتغيظت على أهلها، واشتد زفيرها"[٥٨].

فالطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم لن ينقضي على امتداد الزمان و لن تنتهي أشكال الطعن عليه، فأتى الله بهذه النتيجة الحاسمة الخالدة لكل زمان ومكان،

---

(٥٥) أخرجه مسلم،ح(٢٨٦٥) .

(٥٦) رواه أحمد والبزار، وأبو يعلى، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ورجال الأولين رجال الصحيح، انظر: الهيثمي، أحمد بن علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،(١٨/٩).

(٥٧) الطبري، جامع البيان،(٢٢٠/١٨).

(٥٨) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص٥٢٧.

وجعلها حكما قاطعا في حق كل من تجرأ على مقام نبوة النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة قول أو فعل .

المطلب الثالث: الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإنزال القرآن منجما

قال تعالى { وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا* ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}[الفرقان:٣٢-٣٣].

تأتي هذه الآية بعد ذكر تلك المطاعن والمآخذ على القرآن الكريم والطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم لتجمع بين الأمرين، فهؤلاء الكفار أرادوا الطعن في طريقة إنزال القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر الله شبهتهم بقوله تعالى { وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة}.

" يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم، وكلامهم فيما لا يعنيهم، أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزبور، وغيرها من الكتب الإلهية "[٥٩].

و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال((نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، وكان الله عز وجل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض، قالوا{لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا}))[٦٠].

وقد اتفق الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان في ذكر الاختلاف في كيفية الإنزال:

" أحدها: إنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة.

القول الثاني: إنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل: في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(٥٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(١٠٩/٦).

(٦٠) أخرجه النسائي،أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، سورة القدر، ح(١١٦٨٩).

القول الثالث: إنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، ثم بعد ذلك نزل منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

والقول الاول أشهر وأصح، وإليه ذهب الأكثرون[١].

والذي يؤيد القول الأول قوله تعالى {إنا أنزلناه في ليلة القدر}[القدر: ١]، وقوله تعالى {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ}[البروج: ٢١-٢٢]. ففي نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا ثم نزوله منجما حسب الحوادث والوقائع على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم عدة فوائد:

-الاهتمام بشأن القرآن اهتماما عظيما.

-إعلام أهل السموات بقدر هذا الكتاب العظيم والمبعوث إليهم.

- تشريف مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بتعدد نزول الوحي عليه في كل وقت وكل حين.

-تكريم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل عصره المؤمنين بـ نزل القرآن يتلو في مسامعهم وتلقنهم وتفصيح مقالات الكافرين والمنافقين المتعلقة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

من أجل هذا كان [illegible] في تفسير قوله تعالى في الآية الكريمة

المطلب الرابع: الرد على [illegible] على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن منجما

لكن الله تعالى قد [illegible] بحكمة بالغة وحجة دامغة في نزول القرآن منجما مفرقا على مدى [illegible] واحدة مثل بقية الكتب الإلهية التي [illegible] في القرآن الكريم. كان مجمل الرد في

الأمر الأول: الرد عليهم فيما تضمنته من أن القرآن الكريم منه [illegible] الآية الكريمة. وذلك في حكمتين عظيمتين

---

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، (٢٢٨/١)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دراسة تحليل القرآن بين المؤمن والكافر، محمود شاكر، [illegible] إنزل القرآن الكريم وأثره عليهما، وذلك ما ذكره في المعاني على الثالثة في كيفية ومعناه، فالقد وهذا، فالراجح، ص[illegible]

الحكمة الأولى:{كذلك لنثبت به فؤادك}،" أي: لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل عليه السلام"[٦٢].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال(( كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)) [٦٣].

وقيل: معنى {لنثبت به فؤادك} أي: "لنحفظه، فإن عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ففرق عليه ليسير عليه حفظه بخلاف غيره من الأنبياء، فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة، ثم أجاب الإمام الزركشي عن هذا القول بقوله: كان في القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي صلى الله عليه وسلم دفعة، قلت: ليس كل ممكن لازم الوقوع"[٦٤].

وهذا الذي قاله الإمام الزركشي ليس بحجة، لمن قال عدم قدرة النبي صلى الله عليه وسلم على الحفظ بسبب أميته، بل الأمر على العكس، فأمية النبي صلى الله عليه وسلم كانت تؤهله للحفظ السريع، وقد كان العرب أمة أمية لاتقرأ ولا تكتب، وحفظت اللغة في ديوان العرب الشعر الذي كان يحفظ مثل الماء، فلا حجة لمن قال بعدم قدرة النبي صلى الله عليه على الحفظ لأميته، بل رد الله عليهم في قوله تعالى {لا تحرك به لسانك لتعجل به *إن علينا جمعه وقرآنه* فإذا قرآناه فاتبع قرآنه*ثم إن علينا بيانه}[القيامة:١٦-١٩]، فالحرص الذي عاتب الله عليه النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب قوة حفظه، فكان يردد مباشرة ما يقرأه عليه جبريل -عليه السلام-، فضمن الله تعالى له الحفظ والبيان [٦٥].

---

([٦٢]) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،(١٢١/١) .

([٦٣]) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب(٧) أجود ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان،ح(١٨٠٣).

([٦٤]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٢٣١/١) .

([٦٥]) انظر: آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم،ص٢، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص٨٣٢.

وقال الإمام ابن تيمية: "وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني، وهم العرب والروم والفرس، فهم سكان وسط الأرض طولا وعرضا، فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وصفها فقيل لهم: عرب من الإعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خاصة القوة المنطقية"(٦٦).

الحكمة الثانية: " لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور، ومنه ماهو إنكار لما كان"(٦٧).

الأمر الثاني: رد الله تعالى على هؤلاء الطاعنين بقوله تعالى { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}[الفرقان:٣٣].

فهذه الآية بيان لحال الكفار المعاندين الذين يأتون بالأمثال المعارضة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والشبهات الطاعنة في رسالته صلى الله عليه وسلم، تكفل الله بالرد عليهم بأحسن الردود، "فقد أنزل الله عليك القرآن جامعا للحق في معانيه، والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق، لايشوبها باطل ولا شبهة، بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيرا"(٦٨).

من أجل هذا كان أحسن الطرق لتفسير القرآن بالقرآن ثم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم(٦٩)، وذلك لأن الله أنزل القرآن الكريم متشابها بعضه يدل على بعض لمن كان له قلب أو أدنى علم سيؤمن بحقائقه، ويعمل بأحكامه، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

## المطلب الخامس: الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم عند رؤيته وسماع كلامه

قال تعالى {وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا* إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا}[الفرقان:٤١-٤٢] .

كتب الله تعالى على نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تحمل أنواع الأذى من المطاعن في القول والعذاب في البدن، ما لم يتحمله نبي قبله، فقد آذاه مشركو قريش في خلقه وخلقه وقد كان معروفا لديهم بالصادق الأمين، ومع ذلك نبذوا هذه المعرفة جانبا، وجعلوه محلا لاستهزائهم، فذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة لونا جديدا من

---

(٦٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(١٥/٤٣١)(بتصرف) .

(٦٧) الزركشي، البرهان في علوم القرآن،(١/٢٣١).

(٦٨) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص٥٣٠.

(٦٩) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(١٣ /٣٦٣) .

الأذى الحاضر والمشهود باستهزاء الكفار بشخصه صلى الله عليه وسلم إذا رأوه بينهم، وهو أشد أنواع الأذى على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يدل على سوء فعلهم وشناعة أذيتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفعل، قال تعالى { وإذا رأوك أن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها} " حكى الله تعالى عنهم إنهم إذا رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم استهزؤوا به واحتقروه، واستبعدوا أن يبعثه الله تعالى رسولا"(٧٠).

ومن تفسير هذه الآية ما ذكره الله تعالى في قوله جل جلاله { وإذا راءك الذين كفروا أن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون}[الأنبياء:٣٦].

وقد ذكرت كتب السيرة ألوان من أنواع الاستهزاء الذي تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم، وحصل في هذا العصر ألوانا أخرى من السب والتكذيب وتصوير النبي صلى الله عليه وسلم على غير حاله، والطعن في أحكامه الشخصية التي اختص بها كتعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم، وتشويه أحكام دينه مما لا يعد ولا يحصى من ألوان الأذى(٧١).

والسبب في ذلك الاستهزاء بشخصه غائبا أو حاضرا والطعن في نبوته قديما وحديثا ما ذكرته الآية الكريمة {إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها}فالسبب الأساس للاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم هو فساد معتقدهم في الآلهة التي اتخذوها من عند أنفسهم، " فالمقصود منه تفاخرهم بتصلبهم في دينهم، وإنهم كادوا أن يتبعوا دعوة الرسول بما يلقيه إليهم من الإقناع والإلحاح، فكأن تأثر أسماعهم بأقواله يوشك بهم أن يرفضوا عبادة الأصنام لولا أنهم تريثوا، فكان في الريث أن أفاقوا من غشاوة أقواله وخلابة استدلاله، واستبصروا مرآه، فانجلى لهم أنه لا يستاهل أن يكون مبعوثا من عند الله"(٧٢).

من أجل هذا كان مقام النبي كريما عند ربه جل جلاله، فلم يرض له هذا الاستهزاء فتولى الله جل جلاله بقوته وقدرته الرد عليهم ردا عاجلا فيما يلي:

---

(٧٠) ابن عطية، المحرر الوجيز،(٤٤١/٦) .

(٧١) تتالت الروايات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم: آيات شيطانية لسليمان رشدي، والمسابقة الدنمركية للرسوم الكاريكاتورية، وفيلم فتنة للسياسي الهولندي غيرت فيلدرز، وغير ذلك من أنواع الاستهزاء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٧٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٣/١٩).

## المطلب السادس: الرد على المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى {وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا} فهذه الآية الكريمة جواب عما قالوه { إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها}،" وهذا يدل على اعتراف القوم بأنهم لم يعترضوا البتة على دلائل الرسول صلى الله عليه وسلم وما عارضوها إلا بمحض الجحود والتقليد،لأن قولهم {لولا أن صبرنا عليها} إشارة إلى الجحود والتقليد، وذلك يدل على أن القوم كانوا مقهورين تحت حجته عليه السلام، وإنه ما كان في أيديهم إلا مجرد الوقاحة"(٧٣).

وهذا هو الرد الجميل الذي يدل على أن الكفار مهما اختلفت ألوانهم وأقوالهم وزمانهم ،إنما كان كفرهم وطعنهم في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو جحودا وعنادا بعد أن سلموا له بقوة الحجة وكمال العقل وصدق الأدلة، وهذا الاستهزاء لا يليق إلا بالجاهل العاجز عن مواجهة الأدلة، لذا قال الله تعالى في حقهم{ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا}.

فالحق طريق واحد، لا يتعدد، فهذا الجواب يرد عليهم جهالتهم بالمجادلة بأنهم على حق في دينهم، فتضمن الرد عليهم بوعيدهم بما ينالونه من عذاب في الدنيا كما حصل لأهل بدر من صناديد قريش الذين تولوا الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيا أو ميتا، والصد عن دين الله وحقائقه.

ثم قال تعالى تسلية للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم{ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا}.

وهذه الآية درس عظيم لكل من قام بدين الله, وأحب نصرته بتعلم كيفية التعامل مع مثل هذه الشواهد والدلائل على الاستهزاء بنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم قديما وحديثا، فهي كالأساس الراسخ والقاعدة الأصيلة في الرد على هؤلاء المستهزئين، لأن الله كتب في كتابه الكريم استمرار المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم في حضوره وغيابه، لذا اكتفى الله تعالى بالرد عليهم بقوله تعالى {إنا كفيناك المستهزئين}[الحجر:٩٥]، وكفى بالله كافيا ووليا ونصيرا.

وسبب هذا الاستهزاء بالرسول الكريم مع علو مكانته عند ربه جل جلاله، وكثرة الدلائل الدالة على صدق نبوته كما بينته الآية الكريمة هو بسبب الهوى.

---

(٧٣) الرازي، التفسير الكبير،(٢٤/٧٥) (بتصرف).

فالهوى: هو ميل النفس إلى الشهوة، وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية[٧٤].

فالتفت الخطاب القرآني إلى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى {أرأيت} "وهو استئناف خوطب به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخطر بنفسه من الحزن على إعراضهم عن دعوته" [٧٥]، وفي بناء هذه الآية الكريمة تصوير عجيب في توضيح صورة هؤلاء المستهزئين بأنهم اتخذوا الهوى آلهة يعبدونه، ويقدمون له القرابين، وما تلك الصور المعبودة من الأصنام والأوثان والأشجار والأشخاص إلا صورة من الهوى المعبود عند هؤلاء المستهزئين.

{أفأنت تكون عليه وكيلا}وفي هذا التذييل استفهام إنكاري بتعلق النبي صلى الله عليه وسلم بهداية هؤلاء المستهزئين أرباب الهوى، ورغبته في قلعهم عن ضلالتهم ونسيانه لا ستهزائهم، وفي هذه الآية من مدح المقام النبوي الكريم، ورأفته صلى الله عليه وسلم ورحمته بالعالمين، ولو كانوا مخالفين له في العبادة والتوحيد والتصديق.

ثم قال تعالى في وصف هؤلاء المستهزئين ليكون ختام الرد على أهل هذه المطاعن الأثيمة على رسالة الخاتم الأمين، فقال تعالى { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا }[الفرقان: ٤٤].

وتتضمن دلالة هذه الآية الكريمة على تأييس عن بلوغ هؤلاء المستهزئين غايتهم في ترك الرسول الكريم رسالته وكفر أتباعه به، وذلك بسبب ما أصاب أكثر الطاعنين من نفي الأدلة والشواهد الصادقة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بسبب الهوى وحب الرئاسة، حتى عميت قلوبهم وصمت آذانهم عن سماع الحق وقبوله، وترغيب من كان فيهم عقلا للهداية وقبول الحق . {إن هم إلا كالأنعام} هو تشبيه للتقريب إلى الأفهام حال هؤلاء المستهزئين.

{بل هم أضل سبيلا} وهذا نكاية في حالهم والتشديد على هؤلاء المستهزئين قديما وحديثا بأنهم على سبيل ضال، "لأن الأنعام تفقه بعض ما تسمعه من أصوات الزجر ونحوها من رعاتها وسائقيها، وهؤلاء لا يفقهون شيئا من أصوات مرشدهم وسائسهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم "[٧٦].

---

(٧٤) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن،ص٥٢٤.

(٧٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(١٩/٣٤).

(٧٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير،(١٩/٣٨) .

وهذه الحقيقة التي ذكرها القرآن الكريم تأكيدا لكل الأفعال والأقوال الصادرة عن المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم وضلال النتائج التي تقودها إليهم أهوائهم التي تتلاعب بهم، فهم لا يرعوون ولا ينتهون عن مقالتهم الآثمة ومطاعنهم الباطلة، خاصة الذين يتصدرون مقام المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم، لذا أكثر القرآن الكريم من وصف سبيلهم بالضلال فقال تعالى { انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا}[الفرقان:٩]، وقال تعالى{ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل}[الفرقان:١٧]، وقال تعالى {الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا}[الفرقان:٣٤]، وقال تعالى {وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا}[الفرقان:٤٢]، وقال تعالى { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا}[الفرقان:٤٤].

ففي بناء هذا الوصف {أضل سبيلا} في سورة الفرقان، بتنوع أحواله، وكثرة وروده لحكمة عظيمة، وهو إنما يراد به موصوفا واحدا، جاءت السورة الكريمة بالرد عليهم، وهم الطاعنون في الرسالة المحمدية، القائلون تلك المقالات الكاذبة والشبهات الباطلة من العالمين، وذلك لأن الفرقان يفرق بين سبيل الحق وسبيل الضلال، وهو وصف لازم لمن قام بهذه المطاعن الآثمة سواء كان قولا أم فعلا في حق رسالة النبي الأمين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أي زمان ومكان.

## الخـــاتمـــة

لقد من الله علي بتدبر سورة الفرقان، وذكرت ما في بنائها من الدلالات العظيمة علـــى منهج القرآن الكريم في الرد على المطاعن الأثيمة التي وردت على الرسالة المحمديـــة، فأحببت أن أختم هذا البحث بعدة نتائج منها:

- بيان أهمية منهج القرآن الكريم في دراسة بناء ودلالات ســور القــرآن الكــريم، والاهتمام ببناء الافتتاحية لدلالته على موضوع الســورة ومقاصــدها الأساســية، وارتباطها بخاتمة السورة.
- التأكيد على صدق الرسالة المحمدية بذكر جميع المطاعن التي أثيرت على القرآن الكريم والرسول الأمين في بناء سورة الفرقان، وما تضمنته من الرد علـــى هـــذه المطاعن.
- بيان منهج الطاعنين في القرآن الكريم وأدلتهم في ذلك، وتســجيل هــذه الأدلــة بحفظها في آيات من القرآن الكريم، وتوضيح منهج القرآن الكريم في الرد عليها ليبقى مشعلا للأجيال المسلمة في الحفاظ على القرآن الكريم وتربية النشء عليه.
- بيان بناء المنهج القرآني في نصرة رسول الله صلى الله عليه وســلم، والــدلالات التي تحملها سورة الفرقان في الرد على ما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم من ألوان الأذى قديما وحديثا، وهو يتضمن عدة أمور:
  - التأكيد على ضلال سبيل الطاعنين في رسالة نبينا محمد صلى الله عليـــه وسلم.
  - التخويف والتحذير من قيام الساعة، وما أعد الله فيها من عذاب السعير.
  - التأكيد على أن كل ما في الدنيا من نعيم زائــل، وتبرئـــة مقـــام النبـــوة المحمدية من التعلق بالدنيا وحب لذائذها، لما له في الآخرة مـــن النعـــيم الدائم.
  - ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الحكمة العظيمة مـــن إنـــزال القرآن منجما حسب الحوادث والوقائع لما فيها من الإعجاز العظيم.
  - اقتران شهادة الكون البديع في النظـــر فـــي ملكـــوت الســـموات الأرض وشهادة العقل السليم في دلائل القدرة الإلهية في خلق الإنسان وغيـــره، للتحقق من صدق الرسالة المحمدية.

- الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه في كفاية المستهزئين بالرسالة المحمدية، وعدم رد الاستهزاء بالاستهزاء، وتفويض الأمر لله عز وجل.

- مدح السالكين من عباد الرحمن الذين ينتفعون بآيات الفرقان ودلائله ويعملون بأحكامه.

وفي الختام: أوصي جميع الباحثين والمهتمين بالدراسات القرآنية ضرورة العودة إلى بناء القرآن الكريم، وتدبر دلالات آياته وسورة، وبحث ما فيه من أدلة وبينات على صدق الرسالة المحمدية.

والحمد لله رب العالمين.

## قائمة بأهم المراجع

١- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، حققه : محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش،الطبعة الرابعة- الرياض:دار طيبة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق وتنسيق: عبدالرزاق بن غالب المهدي- الطبعة الأولى- بيروت : دار الكتب العلمية ،١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن،دار الشروق.

٤- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد -بدون بيانات-.

٥- الجابري، (د) محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية: لبنان، ٢٠٠٦م.

٦- جعيط، هشام، في السيرة النبوية -١- الوحي والقرآن والنبوة،دار الطليعة: بيروت.

٧- حيدر،(د)حازم سعيد، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (دراسة موازنة)، الطبعة الثانية،دار الزمان: المدينة المنورة،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٨- الدهيشي، عمر بن عبدالعزيز، أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم،الطبعة الأولى،دار ابن الجوزي: الدمام،١٤٣٠هـ.

٩- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الطبعة الأولى- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

١٠- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ،تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني-بيروت: دار الكتاب العربي -بدون تاريخ النشر-.

١١- رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، الطبعة العاشرة، المكتب الإسلامي:بيروت،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٢- رضوان،(د)عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره((دراسة ونقد))،الطبعة الأولى،دار طيبة: الرياض، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٣- الزحيلي،(الأستاذ الدكتور) وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،الطبعة الثانية،دار الفكر:دمشق،١٤١٨هـ/١٩٩٨.

١٤- الزركشي،بدر الدين ،البرهان في علوم القرآن ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم صيدا : المكتبة العصرية، بدون تاريخ النشر.

١٥- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به: خليل مأمون شيحا،الطبعة الأولى،دار المعرفة: بيروت، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.

١٦- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان -الطبعة الأولى- عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ .

١٧- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة- مكتبة دار التراث - القاهرة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٨- -الشايع ،(د)محمد بن عبدالرحمن الشايع،المكي والمدني في القرآن الكريم،الطبعة الأولى،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٩- آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم.

٢٠- الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق : محمود محمد شاكر -الطبعة الأولى- بيروت:دار إحياء التراث العربي،١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢١- -ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير،-بدون بيانات-.

٢٢- العسقلاني، أحمد بن علي حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه: محمد

٢٣- فؤاد عبدالباقي، وقرأ أصله وأشرف عليه: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز،مكتبة الرياض الحديثة: الرياض.

٢٤- ابن عطية، أبو محمد عبدالحق الأندلسي،المحرر الوجيز، تحقيق: مجموعة من المحققين - الطبعة الأولى- الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.-بدون تاريخ النشر.

٢٥- -ابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن،الطبعة الأولى-مركز البحوث والدراسات: جامعة الشارقة،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٦- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،تحقيق:عبدالرزاق المهدي،الطبعة الأولى،بيروت:دار الكتاب العربي،١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٢٧- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة: الرياض،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٨- المنصور، عبدالله بن حمد، مشكل القرآن الكريم،الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي: الدمام، ١٤٢٦هـ .

٢٩- مجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن مركز الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن.

٣٠- -المؤتمر الدولي ((المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية)) :كلية دار العلوم: جامعة القاهرة، المنعقد في الفترة من ٤-٦صفر١٤٢٧هـ/٤-٦مارس٢٠٠٦م.

٣١- موسوعة الكتب الستة، إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ،-٠الطبعة الأولى-دار السلام: الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٢- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول،تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، مؤسسة الريان:بيروت،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.